Journal Of the Iraqia University (71-1) February (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

التقديم والتأخير في سورة المعارج / دراسة بلاغية عرض

م.م. نادية سالم صالح

قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة سامراء

The Precedence and Delay in Surah Al-Ma'arij: A Rhetorical Study

Research submitted by:
Assistant Lecturer Nadia Salem Saleh
Department of Arabic Language, College of Education, University of Samarra

Keywords: Precedence and Delay, Surah Al-Ma'arij, Forms.

Email: nadya.sal20@uosamarra.edu.iq

الملخص

تُعد سورة المعارج أحدى النصوص القرآنية التي تُمثل انموذجاً تطبيقياً للدرس البلاغي بموضوعاته كافة لاسيما التقديم والتأخير الذي كانوا عنواناً للبحث، إذ جاء البحث بمطلبين ونتائج مستخلصة من الموضوع نفسه، فكان المطلب الأول يتحدث عن التقديم والتأخير من حيث التعريف، والفهم في الجملة العربية، واهميته من الناحية البلاغية، ومن ثم التقديم والتأخير في الدرس البلاغي، والدرس النحوي، أما المطلب الثاني، فقد جاء دراسة تطبيقية لهذا الموضوع في سورة المعارج، ثم ختم البحث بمجموعة من النتائج أهمها تفوق الدراسات البلاغية على الدراسات النحوية في هذا الغرض، لان البلاغيين عندما درسوا هذا الموضوع كانوا يعتنون بالمعنى، أما النحويين فقد كان هدفهم إيراد العلة النحوية.

الكلمات المفتاحية، تقديم وتأخير، سورة المعارج، صيغ.

Summary

Surat Al-Maarij is one of the Quranic texts that represent an applied model for the rhetorical lesson with all its topics, especially the submission and delay, which were the title of the research, as the research came with two requirements and results summarized from the subject itself, the first requirement was talking about submission and delay in terms of definition, understanding in the Arabic sentence, and its importance in rhetoric, and then submission and delay in the rhetorical lesson, and the grammar lesson, the second requirement, it came an applied study of this topic in Surat Al-Maarij, then concluded the research with a set of results, the most important of which is the superiority of rhetorical studies on grammatical studies in this purpose, because rhetoricians when they studied this topic were taking care of the meaning, but grammarians were their goal to mention the grammatical bug.

المُقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :أعزّ الله – عز وجلّ– اللغة العربية وخصها بالكثير من المميزات لعل أجلها كونها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم. والتقديم والتأخير أحد الأساليب البيانية التي تميز بها العرب في لغتهم وجاءت لغة القرآن ليبرز فيها هذا الأسلوب بوصفه اسلوباً بيانياً بلاغياً، إذ يمثل هذا الأسلوب لوناً من ألوان جسارة اللغة ففيه إقدام على مخالفة لقرينة من قرائن المعنى من غير التوهم في حصول اللبس، اعتماداً على قرائن أخرى، وصولاً بالنص إلى دلالات ومكاسب تجعله نصاً راقياً وبلغيًا. وهذا الاسلوب من المباحث اللغوية الأساسية في علم البلاغة العربية، وتحديداً علم المعاني ؛ فهو واحد من الأركان التي يقوم عليها علم المعاني، لما له من صلة وثيقة بقصد المتكلم، وحال المخاطب، والمقام الذي يُلقى فيه الكلام، وهذه العناصر هي

التي يُعنى بها علم المعاني في سعيه لوضع ضوابط توصل المعنى من المتكلم إلى المخاطب سليماً خالياً من اللبس لذا قال عنه عبد القاهر الجرجاني (ت/ ٧٧٤هـ) : ((هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية. لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قُدِّم فيه شيء وحُوّل اللفظ عن مكان إلى مكان)) (الجرجاني، د.ت، ص١٠٦)وقد جاء بحثي هذا تحت عنوان (التقديم والتأخير في سورة المعارج / دراسة بلاغية) وقسمته على مطلبين تناولت في المطلب الأول : أولاً : التعريف بالتقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح ، وثانياً مفهومه في الجملة العربية – لبيان ماهيته –، وثالثاً : أهميته من الناحية البلاغية، ورابعاً : الأغراض البلاغية التي خرج إليها ، وخامساً : التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة، أما المطلب الثاني فقد جاء دراسة تطبيقية للموضوع في سورة المعارج إذ ورد في خمسة مواضع بأغراض مختلفة ، وقد استعنت بعدة مصادر متنوعة ما بين كتب التفسير وكتب البلاغة مثل، مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (ت/ ٦٠٤هـ) ، والتحرير والتنوير / لابن عاشور (ت / ٧٧٤هـ)،والإيضاح في علوم البلاغة/للخطيب القزويني (ت/ ٧٣٩هـ) ، ودلائل الاعجاز / لعبد القاهر الجرجاني، وختاماً أسأل الله – عز وجل – أن أكون قد وفقت في جمع المادة وعرضها على الوجه الصحيح، والحمد لله أولاً وآخراً.

المطلب الأول

أولًا / التقديم والتأخير لغةً واصطلاحاً

التقديم والتأخير لغةً : جاء في لسان العرب في معنى التقديم أنّ المُقَدِّم من أسماء الله الحسنى: وهو الذي يُقدِّم الأشياء ويضعها في مواضعها، يُقال مشى فلان القُدّمِيَّة والتَّقْدمِية إذا تقدم في الشرف والفضل ولم يتأخر عن غيره في الإفضال على الناس، ومنه قوله تعالى: (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) [الحجر ٢٤]يعني من يتقدم من الناس على صاحبه في الموت ومن يتأخر منهم، والتقديم نقيض التأخير والتأخير ضد التقديم، فمؤخر كل شيء، بالتشديد خلاف مقدّمه. (ابن منظور، ١٩٩٩م، ج١١، ص٦٤)

أما في الاصطلاح :فقد عرفه الزركشي (ت / ٧٩٤هـ) بأنّه:((أحد أساليب البلاغة، فأنّهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق)) (الزركشي، ١٩٥٧م، ج٥، ص٢٣٤) واختلفوا في عدّه من المجاز، فمنهم من عدّه منهُ لأنّ تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبتهُ التقديم كالفاعل نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه، قال الزركشي : ((والصحيح أنّه ليس منه، فأنّ المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع)) (الزركشي، ١٩٥٧م، ج٥، ص٢٣٤)والمعاني لها في التقديم خمسة أحوال :الأولى / تقديم العلة على معلولها.الثانية / التقديم بالذات كتقديم الواحد على الاثنين.الثالثة / التقديم بالشرف.الرابعة / التقديم بالمكان. الخامسة / التقديم بالزمان وهذا يقسم على قسمين :

١.تقديم على نية التأخير كتقديم الخبر إذا قدّم على المبتدأ .

٢.تقديم لا على نية التأخير ولكن على أن ينقل الشيء من حكم إلى حكم وذلك كأن يعمد إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً لهُ فيقدم تارة على ذلك وأخرى على ذاك مثل : ((زيد المنطلق)) و((المنطلق زيد)) فالتقديم والتأخير يؤثران في معنى الجملة لأنّ ما يقدم هو المبتدأ (المسند إليه) ، وما يؤخر هو الخبر (المسند) (الجرجاني، د.ت، ص١٠٦-١٠٧) إنّ تقديم الكلمات بعضها على بعض لهُ بواعث عديدة يوجبها المقام وسياق القول، يستوعبها قولهم: إنّ التقديم إنّما يكون للعناية، فما كانت بهِ عنايتك أكبر قدمته في الكلام، والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنّها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال، ولذا كان فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير اللغوي والبلاغي (الشيخلي، ٢٠١٥م، ص٢٩٥)

ثانياً / مفهوم التقديم والتأخير في الجملة

يراد بالتقديم والتأخير مخالفة عناصر الجملة ترتيبها الأصلي في السياق فيتقدم ما حقه التأخير، ويتأخر ما حقه التقديم، ومن المقرر أنّ ثمة ترتيباً لازمًا لا يمكن مخالفته، وهو ما يُطلق عليه بالرتبة المحفوظة، وثمة تنظيم غير لازم وهو ما يعرف بالرتبة غير المحفوظة، وقد أشار القدماء إلى قضية الرتبة.وثمة أسباب معروفة للخروج على التربيب الأصلي حيث لا يكون لازماً ومن أهم هذه الأسباب:

١. أن تكون العلاقة بين العنصرين علاقة المحكوم عليه بالحكم فمقتضى الأصل ان يتقدم المحكوم عليهِ ويتأخر الحكم كتقديم المبتدأ على الخبر كـ (زيدٌ شجاع) .

٢. أن تكون العلاقة بينهما علاقة العامل بالمعمول فمقتضى الأصل أن يتقدم العامل ويتأخر المعمول كتقدّم الفعل على المفعول كـ (كتب محمدٌ الدرسَ) .

٣. أن تكون العلاقة بينهما علاقة المقدّمة بالنتيجة فمقتضى الأصل أن تتقدم المقدّمة وتتأخر النتيجة كتقدم فعل الشرط على جواب الشرط كـ (ان تدرس تنجح) .

٤. أن تكون العلاقة بينهما علاقة الكل بالجزء المأخوذ منه فمقتضى الأصل أن يتقدم الكل ويتأخر الجزء، كتقدم المستثنى منه على المستثنى كـ (ما ناجحٌ إلا المجد) .

٥. أن يكون التقديم لحفظ الترتيب المعهود في نظام اللغة كتقدم الفعل على الفاعل كـ (جاء محمدُ) والحاكم للتقديم والتأخير في النحو العربي هو الرتبة التي يمكن تعريفها: بأنّها جزءٌ من النظام النحوي يقصد به أن يكون للكلمة موقع بالنسبة لصاحبتها كأن تأتي سابقة لها أو لاحقة، فإذا كان الموقع ثابتاً سميت الرتبة محفوظة وإن كان الموقع عرضةً للتغير سُميت غير محفوظة ويوصف القسم المتقدم في الرتبة المحفوظة بأنّه متقدم بالوجوب – ومن ذلك تقديم الموصول على الصلة والموصوف على الصفة وحرف الجر على المجرور وغيرها – أمّا في الرتبة غير المحفوظة كالتي بين المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول بهِ والضمير وغير ذلك فالتقديم والتأخير اختيارٌ اسلوبيٌ متاح للمتكلم يُعبر به عما يقصده ويبتغيه .

وقد يلغى هذا الاختيار وتحفظ الرتبة : إما لالتقاء لبس كما في (ضرب موسى عيسى) أو لالتقاء مخالفة القاعدة. كما في (رأيتك) فانتقال الرتبة من دائرة الرتبة غير المحفوظة إلى دائرة الرتبة المحفوظة أمرٌ وارد وإذا كان الحديث عن التقديم والتأخير ينطلق من منطلق الرتبة فإنّ الترتيب الذي جعله النظام النحوي أصلًا في الرتبة غير المحفوظة لا يسأل عن علتهِ في غالب الأحيان وإنّما يُسأل عمَّا جاء على خلافه وعليه فإن هذا الموضوع نوع من التصرف في التركيب والعدول عن أصل الترتيب لغاية. وهذا النهج لا يكون لغير علّة مقبولة وإلا كان محض عبث تتنزه اللغة عنه. (الشلوي، ٢٠١٠م، ص٢٥٣-٢٥٤)

ثالثاً / أهمية التقديم والتأخير يُعد التقديم والتأخير من أهم الأبواب النحوية والبلاغية التي تعطي السياق دلالةً وجمالاً ورونقاً، وله عظيم الأثر في إثراء اللغة وإنماء عناصرها حتى عدَّ لوناً من ألوان حريتها، وخصيصة من خصائصها ؛ لما بينهُ وبين المعنى من صلة وأسباب، ويعنى بالبحث في أغراض ونكات وأسرار واستجلاء تلك النكات والأسرار التركيبية والمعايير الجمالية في صياغة تراكيب الجمل ؛ لذا قال عنه عبد القاهر الجرجاني: ((هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية. لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنّ راقك، ولطف عندك أن قُدِّم فيه شيء وحُوّل اللفظ عن مكان إلى مكان)) (الجرجاني، د.ت، ص١٠٦) وهذا الغرض موجود في كلام العرب، وفي التنزيل خاصةً ، فقد بلغ هذا الفن الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب، ولم يكتفِ القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيهِ بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله، وقد خاض العلماء السابقون في التقديم والتأخير، فمنهم من ذكره ضمناً في تفسيره للقرآن الكريم مثل الزمخشري (ت/ ٥٣٨هـ) في (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) ، والإمام الرازي (ت/ ٦٠٦هـ) في تفسيره (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) ، والآلوسي (ت/ ١٢٧٠هـ) في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) ومنهم من أفرد لهُ فصلاً مسائل مؤلفة مثل الخطيب الاسكافي (ت/ ٤٢٠هـ) في تفسيره (درة التنزيل وغرة التأويل) ، والدكتور فاضل السامرائي في مؤلفاته (التعبير القرآني) و(معاني النحو) و (لمسات بيانية)، والدكتور محمد السيد شيخون (أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن) والدكتور منير محمد المسيري (دلالة التقديم والتأخير في القرآن الكريم) ، وغيرها من كتب أهل العلم في هذا المقام. (الشيخلي، ٢٠١٥م، ص٢٩٦)فظاهرة التقديم والتأخير تعدُّ من أوضح الظواهر في كتاب الله تعالى، ودراسة هذه الظاهرة دراسة قديمة متأصلة وقف عليها الصحابة رضوان الله عليهم في تفسيرهم لكتاب الله تعالى: فمن ذلك ما رواه الطبري عن ابن عباس في تفسيره قوله تعالى : ((يسئلك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة)) [النساء١٥٣] عن ابن عباس في هذه الآية، قال: إنّهم إذا رأوه فقد رأوه، إنّما قالوا: جهرة أرنا الله قال: هو مقدم ومؤخر)). (الشلوي، ٢٠١٠م، ص٢٥٤)

رابعاً / أغراض التقديم والتأخير

هذا الباب رحب لأنّه يضم الكثير من أقسام الكلام (فالمسند إليه) يقدم لأغراض بلاغية منها :

١. إنّه الأصل ولا سبيل للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال على الحال .

٢. أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه (مطلوب، ١٩٨٦م، ص٣٢٦)

٣. أن يقصد تعجيل المسرة مثل ((سعد في دارك)) ، أو الإساءة مثل ((السفاح في دار صديقك))

٤. ايهام أنّ المسند إليه لا يزول عن الخاطر مثل ((الله ربي)) أو الإيهام بالتلذذ

٥. تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي إن ولي حرف النفي.

٦. تقوية الحكم وتقريره كقوله تعالى) : والذين هم بربهم لا يشركون) [المؤمنون آية ٥٩]

٧. افادة العموم مثل (كل انسان لم يقم) (مطلوب، ١٩٨٦م، ص٣٢٦-٣٢٧)وتقديم (المسند) يخرج لأغراض هي :

١. تخصيص المسند بالمسند إليهِ كقوله تعالى :(ولله ملك السماوات والأرض) [آل عمران آية ١٨٩].

٢. التنبيه من أول الأمر على أنّه خبر لا نعت .

٣. التفاؤل بتقديم ما يسر مثل : ((عليه من الرحمن ما يستحقه)) .

٤. التشويق إلى ذكر المسند إليه (مطلوب، ١٩٨٦م، ص٣٢٦-٣٢٧)ومن التقديم تقديم تعلقات الفعل عليهِ كالمفعول والجار والمجرور والحال ويكون ذلك لأغراض منها :-

١. الاختصاص كقوله تعالى : (إياك نعبدُ وإياك نستعين) [الفاتحة آية ٥].

٢. الاهتمام بالمتقدم كقوله تعالى : (قل أغير الله أبغي رباً وهو ربُّ كل شيء) [الأنعام آية ١٦٤].

٣. التبرك مثل ((قرآنا قرأت)) .

٤. الضرورة الشعرية، وهو كثير لا يحد ولا يحصر(مطلوب، ١٩٨٦م، ص٣٢٧).

٥. رعاية الفاصلة كقوله تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) [الضحى آية ٩] وهناك أنواع أخرى للتقديم والتأخير لا ترجع إلى المسند إليه أو المسند أو متعلقات الفعل وإنّما ترجع لأمور أخرى، قد بحثها الزركشي وهي :

١. السبق كقوله تعالى : (وإذ أخذنا من النبين ميثاقهم ومنكَ ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى) [الأحزاب ٧].

٢. الذات كقوله تعالى : (ألم ترَ أن الله يعلمُ ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يومَ القيامة إن الله بكل شيء عليم) [المجادلة ٧].

٣. العلة والسببية، كقوله تعالى : (إياك نعبدُ وإياك نستعين) [الفاتحة ٥].

٤. المرتبة، كقوله تعالى ((غفور رحيم)) ، لأنّ المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

٥. التعظيم، كقوله تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) [النساء ٦٩].

٦. الغلبة والكثرة كقوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) [فاطر ٣٢].

٧. الاهتمام عند المخاطب، كقوله تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن اللهَ كان على كل شيء حسيباً) [النساء ٨٦].

٨. مراعاة الأفراد، كقوله تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً) [الكهف ٤٦]، فإنّ المفرد سابق على الجمع، وغيرها من قصد الترتيب وخفة اللفظ ورعاية الفاصلة، وهذه الأنواع التي ذكرها الزركشي لم يبحثها البلاغيون إلا من خلال الجملة، ولذلك كانت دراستهم لها قاصرة، أما الذين عُنوا بأسلوب القرآن فقد تجاوزوا ذلك ونظروا إلى التقديم والتأخير نظرة أوسع وأكثر عمقاً فجاءت مادتهم أغزر وبحوثهم أخصب، ولا يكاد يستثنى من ذلك إلا عبد القاهر الجرجاني الذي أبدع في تحليل الأساليب البلاغية ونقل النحو من أحوال الإعراب والبناء إلى المعاني التي تزخر بها العبارات، وكانت نظريته في النظم من أحسن ما عرف النقد القديم والبلاغة العربية. (الزركشي، ١٩٥٧م، ج٥، ص ٢٤٠، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٧٥، ٢٧٢)

خامساً / التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة

تُعد هذه المسألة من الامور الأساسية التي عُني بها النحويون، كجزء من عنايتهم بالتركيب العربي، فبرزت هذه العناية بالتحليل النحوي وبالتخريج اللفظي واضحاً مع سيبويه (ت / ١٨٠هـ) ، والمبرد (ت /٢٨٥هـ) وابن جني (ت / ٣٩٢هـ) يحاول النحاة عادةً أن يقدموا الاسباب لتقديم اقسام من الجملة أو تأخيرها بالاعتماد مهمّة على المعنى والتركيب، ولكنهم يميلون أحياناً إلى تجاهل المعنى من أجل تعليل ضرورة نحويّة. كان لسيبويه

ملاحظات حول هذه المسألة ، نثرها في كتابه ((الكتاب)) تظهر هذه الملاحظات رأي واضع النحو العربي حول ترتيب الكلم في الجملة، من جهة أخرى جعل البلاغيون المعنى اساساً في حالات التقديم والتأخير وكان للاهتمام بالمعنى والتأكيد عليه نتيجة مفادها تفوق كتب البلاغة على كتب النحو في هذا المجال، وإن كانت كتب البلاغة لم تسهو عن التركيب أو أصول النحو عامة وتعرض آراء البلاغيين لا سيما من خلال كتاب عبد القاهر الجرجاني ((دلائل الإعجاز)) الذي يُقدم المعنى كونه الأساس في التمركز في تحديد صحة استعمال قول ما (الأحمر، ٢٠٠١م، ص٢٠١)

المطلب الثاني أولاً / التعريف بسورة المعارج

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المعارج: ١ – ٤٤ سُميت هذه السورة في كتب السنّة وفي (صحيح البخاري) و (جامع الترمذي) وفي (تفسير الطبري) وابن عطيَّة وابن كثير (سورة سَالَ سائل) ، وسميت في معظم المصاحف المشرقية والمغربية وفي معظم التفاسير (سورة المعارج) . وذكر في (الإتقان) أنّها تسمى (سورة الواقع) ، وهذه الأسماء الثلاثة مقتبسة من كلمات وقعت في أولها، وأخصُّها بها جملة(سال سائل) ؛ أنّها لم يرد مثلها في غيرها من سور القرآن إلاّ أنّها غلب عليها اسم (سورة المعارج) لأنّه أخف .

وهي مكية بالاتفاق، وشذ من ذكر أنّ آية (والذين في أموالهم حق معلوم) [المعارج : ٢٤] مدنية، وهي السورة الثامنة والسبعون في عداد نزول سور القرآن وعَدّ جمهور الأمصار آياتها أربعاً وأربعين. وعدّها أهل الشام ثلاثاً وأربعين، وقد حَوت العديد من الأغراض منها:

١. تهديد الكافرين بعذاب يوم القيامة، واثباتَ ذلك اليوم ووصفَ أهواله، ووصف شيء من جلال الله فيه،وتهويلَ دار العذاب وهي جهنم. وذَكَر أسباب استحقاق عذابها، ومقابلة ذلك بأعمال المؤمنين التي أوجبت لهم دار الكرامة وهي أضداد صفات الكافرين.

٢. تثبيتَ النبي (صلى الله عليه وسلم) وتسليته على ما يلقاه من المشركين .

٣. وصفَ كثير من خصال المسلمين التي بثها الإسلام فيهم.

٤. وتحذير المشركين من استئصالهم وتبديلهم بخير منهم.

وقِيل في سبب نزولها إنّ كفار قريش كانوا يستهزئون فيسألون النبي (صلى الله عليه وسلم) متى هذا العذاب الذي تتوعدنا به، وقيل: إنّ السائل شخص معين هو النضر بن الحارث قال : إن كان هذا – أي القرآن –(هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) الأنفال : ٣٢وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يسأل الله أن يعينه على المشركين بالقحط فأشارت الآية إلى ذلك كله، ولذلك فالمراد بسائل فريقٌ أو شخص. (بن عاشور، ١٩٩٧م، ج٢٩، ص١٥٢-١٥٣)

ثانياً / مواضع التقديم والتأخير في السورة

١. ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ **قدّم /** (في يوم) **نوع التقديم /** تقديم تعلقات الفعل(الجار والمجرور على(الفعل) .**الغرض البلاغي /** الاختصاص أي جعل العروج في هذا اليوم بالخصوص فالأكثرون على أنّ قوله (في يوم) من صلة قوله تعرج أي يحصل العروج في مثل هذا اليوم. وقال مقاتل بل هذا من صلة قوله (بعذابٍ واقع) وعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير والتقدير : سأل سائل بعذابٍ واقع في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة. وعلى التقدير الأول: فذلك اليوم، إما أن يكون في الآخرة أو في الدنيا. (الرازي، ٢٠٠٠م، ج٣٠، ص١٢٣) وروي عن الكلبي أنّه قال : يقول الله تعالى : لو وليت حساب ذلك الملائكة والأنس والجن وطوقتهم محاسبتهم لم

يفرغوا منهُ في خمسين ألف سنة وأنا افرغ منه في ساعة من النهار، وفيه تقديم وتأخير كأنّه قال : ليس لهُ دافع من الله ذي المعارج في يوم مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه (الشربيني، د.ت، ج٤، ص٢٧٧)

٢. ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ ﴾ **قدّم /** (يوم) على (تكون الس)**نوع التقديم /** تقديم تعلقات الفعل عليه – الفعل –**الغرض البلاغي /** للاهتمام بذكر اليوم وذكر أنّ (يوم تكون السماء) إما أن تكون متعلقة بتعرج [اية ٤]، أو أن يتعلق بيودُّ المجرم [اية ١١]، وقد قدّم عليه للاهتمام بذكر اليوم فيكون قوله : (يوم تكون السماء كالمهل) ابتداء كلام، والجملة المجعولة مبدأ كلام تجعل بدل اشتمال من جملة (ولا يسأل حميم حميماً) ؛ لأنّ عدم المسائلة مسبب عن شدة الهَول، ومما يشتمل عليه ذلك أن يود المَوَل لو يفتدي من ذلك العذاب. (بن عاشور، ١٩٩٧م، ج٢٩، ص ١٥٩)

٣. ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾

قدم / البنين ثم الصاحبة ثم الأخ ثم العشيرة.

نوع التقديم / تقديم بعض متعلقات الفعل على بعض.

الغرض البلاغي / أفاد الترتيب على الترقي من الأدنى إلى الأعلى على سبيل الإضراب عن الأدنى إلى الأعلى

ولكن نجد آية في سورة عبس تقول ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾

فقد جاء الترتيب في آية الفرار تصاعدياً كما في سورة (عبس) ، بينما جاء الترتيب في آية الافتداء في سورة (المعارج) تنازليًا على العكس من موقف الفرار وذلك لأنّ سورة المعارج تصف مشهداً من مشاهد يوم القيامة وهو العذاب، حين يرى الإنسان مصيره وما أعد له، عندها يتمنى أن لو استطاع أن يجعل أحداً مكانه حتى لو كان أقرب الناس إليه وألصقهم به، لذلك عكس الترتيب في سورة (عبس) فقدّم في سورة (المعارج) الابن ثم الزوجة ثم الأخ ثم العشيرة، فهو موقف قد بلغ فيه الكرب والهول ذروته وهذا ما تكشف عنهُ الآيات السابقة لهذه الآية من أول السورة إلى هذا الموضع، فلشدة الكرب وهوله ورغبة المجرم في سرعة الخلاص من الكرب والهول، فإنهُ يسارع بالافتداء بأعز ما يملك فليس الموقف موقف مساومة : ثم إذا لم يقبل ذلك منهُ زاد أكثر وأكثر حتى يفتدي بمن في الأرض جميعاً ان كان يملك ذلك على أن ينجو بذلك وهذا التقديم والتأخير يعد أحد الأساليب الفنية، الذي يكون لكل لفظة من الفاظه في موضعها ووظيفتها الخاصة التي يفرضها السياق ويقتضيها الغرض وهذا ما تميز فيه الأسلوب القرآني (الشلوي، ٢٠١٠م، ص ٢٨٣-٢٨٤)

٤. ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

قدَّم / الأمانة على العهد

نوع التقديم / تقديم سياقي بلاغي لا يرجع إلى المسند إليه، أو المسند، أو متعلقات الفعل

الغرض البلاغي / وذلك لأهمية الأمانة، وتعظيم أمرها جاء في البحر المحيط : ((والأمانة : الظاهر أنّها كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهي وشأن دين ودنيا. والشرع كله أمانة، وهذا قول الجمهور، ولذلك قال أبيّ بن كعب: من الأمانة أن اؤتمنت المرأة على فرجها)) (ابي، حيان، ج٧، ص٢٤٣) جاء في (روح المعاني) في قوله تعالى :وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ

((والآية عند أكثر المفسرين عامة في كل ما ائتمنوا وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الناس كالتكاليف الشرعية والأموال المودعة والأيمان والنذر والقعود ونحوها وجمعت الأمانة دون العهد لأنّها متنوعة متعددة جدًا بالنسبة إلى كل مكلف من جهته تعالى ولا يكاد يخلو مكلف من ذلك ولا كذلك العهد)) (أبو الفضل، د.ت، ص١٤٧)

فنظراً لأهميتها وكونها أعم وأشمل– لدلالتها على معاني متعددة – من العهد فقدمت عليه وهناك تقديم أخر في الآية نفسها وهو تقديم الأمانة والعهد على راعون وقد قدمتا للاهتمام والعناية بأمرهما وللدلالة على أنّهما أولى ما يُرْعى في هذه الحياة. (السامرائي، ٢٠٠٣م، ص١٤٦-١٥٠)

٥. ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ **قدّم /** (على صلاتهم) على (يحافظون)**نوع التقديم /** تقديم تعلقات الفعل (الجار والمجرور) على(الفعل)

الغرض البلاغي / يفيد تقوية الخبر وتقريره مع إفادة التجدد من الفعل المضارع. (بن عاشور، ١٩٩٧م، ج٢٩، ص١٧٥) وهذا التقديم لا يفيد القصر، وذلك لأنّ المحافظة لا تقتصر على الصلاة بل هي لعموم حدود الله وفرائضه، قال تعالى: (والحافظون لحدود الله) [التوبة: ١١٢]، ولكنه قدم الصلاة لتعظيم أمرها. (السامرائي، ٢٠٠٠م، ج٣، ص١٠٧)

الخاتمة

الحمد لله أولاً وأخيرًا، وبعد فقد توصلت من خلال هذا البحث إلى مجموعة أمور وهي :

١- تلازم اللفظين والمصطلحين مع بعضهما البعض فعندما نريد ان نعرف التقديم فلا بدَّ من ذكر التأخير لأن ما يستدعي تقديم قسم من الكلام هو ذاته ما يستدعيه تأخيره بما يناسب المقام؛ لأنّه إذا تقدم أحد ركني الجملة تأخر الآخر، فهما متلازمان كما قلنا.

٢- تفوق الدراسات البلاغية على الدراسات النحوية في هذا الأسلوب لأنّ البلاغيين عندما درسوا هذا الموضوع كانوا يعنون بالمعنى المتأتي لهذا الغرض فجاءت دراستهم في علم المعاني، فكانوا يحكّمون الذوق ويتحسسون مواطن الجمال في الكلام أما النحويون فقد درسوا هذا الأسلوب على أساس المسند والمسند إليه كأحد أحوال الجملة وكانوا ملزمين بإيراد العلة النحوية في حال تقديم احد أحوال الجملة على الآخر وان كان على حساب المعنى .

٣- يعد الاهتمام بالمقدّم الغرض البلاغي البارز في النصوص القرآنية في السورة، وهذا يأتي من باب العناية فما كانت بهِ عنايتك أكبر قدمته في الكلام، والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنّها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال.

٤- إنّ التقديم قد تجاوز حدَّ الكلمة إلى الجمل وهذا التقديم والتأخير يعد أحد الأساليب الفنية، الذي يكون لكل لفظة من الفاظه في موضعها وظيفتها الخاصة التي يفرضها السياق ويقتضيها الغرض وهذا ما تميز فيه الأسلوب القرآني.وختاماً أسال الله –عز وجل – التوفيق والسداد.

قائمة المصادر والمراجع

١ ابن منظور. لسان العرب (تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي). دار إحياء التراث العربي. مؤسسة التاريخ العربي. الطبعة الثالثة .١٩٩٩.

٢ أبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي .تفسير البحر المحيط (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد النوقي، و أحمد النجولي الجمل). (الطبعة الأولى). د. ت.

٣ الأحمر، ميّ اليان .التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت .٢٠٠١

٤ الألوسي، محمود .روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى . د.ت.

٥ بن عاشور، محمد الطاهر .التحرير والتنوير .دار سحنون للنشر والتوزيع. ١٩٩٧.

٦ الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز (قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر). مكتبة الخانجي.الطبعة الأولى . د.ت .

٧ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي .مفاتيح الغيب .دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.٢٠٠٠.

٨ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله .البرهان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). دار إحياء الكتب العربية. (الطبعة الأولى).١٩٥٧.

٩ السامرائي، فاضل صالح .معاني النحو .دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى.٢٠٠٠.

١٠السامرائي، فاضل صالح .لمسات بيانية في نصوص التنزيل .دار عمار. الطبعة الثالثة.٢٠٠٣.

١١الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب .السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير .دار الكتب العلمية. (د.ت).

١٢الشلوي، بريكان سعد .التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: دراسة نحوية دلالية .*مجلة الآداب والتربية، المجلد الأول*، العدد الرابع.٢٠١٠.

١٣مطلوب، أحمد .معجم المصطلحات البلاغية وتطورها .مطبعة المجمع العلمي العراقي.الطبعة الأولى .١٩٨٦.

١٤الشيخلي، تقوى حاتم طه .من أسرار التقديم والتأخير في القران الكريم .*مجلة سر من رأى، العدد ١١. ٢٠١٥.*

Reference

- Abi Hayyan, Muhammad ibn Yusuf al-Andalusi. *Tafsir al-Bahr al-Muhit* (Edited by Adel Ahmed Abdul-Mawjud, Ali Muhammad Mu'awad, Zakaria Abdul-Majid al-Nouqi, & Ahmed al-Nujuli al-Jamal). (No date).
- Al-Ahmar, May Ilyan. (2001). *Al-Taqdim wa al-Ta'khir bayn al-Nahw wa al-Balagha* (Master's thesis, American University of Beirut).
- Al-Alusi, Mahmoud. *Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-'Azim wa al-Sab' al-Mathani*. Dar Ihya' al-Turath al-Arabi. (No date).

- Al-Jurjani, Abd al-Qahir. (n.d.). *Dala'il al-I'jaz* (Read and commented on by Mahmoud Muhammad Shakir). Maktabat al-Khanji.
- Al-Razi, Fakhr al-Din Muhammad ibn Umar al-Tamimi. (2000). *Mafatih al-Ghayb*. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. (First edition).
- Al-Samarrai, Fadel Salih. (2000). *Ma'ani al-Nahw*. Dar al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution. (First edition).
- Al-Samarrai, Fadel Salih. (2003). *Lamasat Bayaniyyah fi Nusus al-Tanzil*. Dar Ammar. (Third edition).
- Al-Shalwi, Brikan Saad. (2010). *Al-Taqdim wa al-Ta'khir fi al-Mutashabih al-Lafthi fi al-Qur'an al-Karim: Dirasah Nahwiyyah Dalaliyyah*. *Journal of Arts and Education*, Volume 1, Issue 4.
- Al-Sharbini, Muhammad ibn Ahmad al-Khatib. *Al-Siraj al-Munir fi al-I'ana 'ala Ma'rifat Ba'd Ma'ani Kalam Rabbina al-Hakim al-Khabir*. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. (No date).
- Al-Sheikhly, Taqwa Hatim Taha. (2015). *Min Asrar al-Taqdim wa al-Ta'khir fi al-Qur'an al-Karim*. *Journal of Surra Man Ra'a*, 11
- Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad ibn Abd Allah. (1957). *Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an* (Edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim). Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiya. (First edition).
- Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. (1997). *Al-Tahrir wa al-Tanwir*. Dar Sahnoon for Publishing and Distribution.
- Ibn Manzur. (1999). *Lisan al-Arab* (Edited by Amin Muhammad Abdul Wahab & Muhammad al-Sadiq al-Ubaydi). Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Arab History Foundation. (Third edition).
- Matlub, Ahmed. (1986). *Mu'jam al-Mustalahat al-Balaghiyyah wa Tatawwuriha*. Iraqi Scientific Academy Press.